

تلخيص

شرح متن

(المنهاج من سير (النبوة

باب في تَلَقِّي الْقُرْآنِ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، وَتَقْدِيمِ
مَقْصِدِ الْعَمَلِ بِهِ، وَتَدَبُّرِهِ وَالِاسْتِغْدَاءِ
وَالِاسْتِغْنَاءِ بِهِ وَتَحْكِيمِهِ وَزِيَادَةِ الْإِيمَانِ بِهِ، عَلَى
غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الشَّرِيفَةِ

برنامج
البناء المنهجية 5

تنبيه



المادة المعتمدة في الاختبار:
الشرح المرئي للكتاب
هذا المخلص لا يغني عن مراجعة
الشرح.

بَابٌ فِي تَلَقِّي الْقُرْآنِ عَلَى مِنْهَاجِ التُّبُوءَةِ، وَتَقْدِيمِ
مَقْصِدِ الْعَمَلِ بِهِ، وَتَدْبِيرِهِ وَالِاسْتِهْدَاءِ
وَالِاسْتِغْنَاءِ بِهِ وَتَحْكِيمِهِ وَزِيَادَةِ الْإِيمَانِ بِهِ،
عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الشَّرِيفَةِ

الفوائد:

- 1-** الإصلاح المطلوب في واقعنا اليوم هو إصلاح جذري، وأحد الجذور المهمة في الإصلاح: «الإصلاح في جذر تلقي القرآن»، وفي هذا الباب جُمعت آيات وأحاديث تبين الموقف الصحيح الذي ينبغي أن يكون تجاه القرآن من حيث ما ينبغي العناية به أكثر من غيره في تلقي القرآن، فهذا الباب يبين ما هي الجوانب التي ينبغي أن نعتني بها أكثر من غيرها في تلقي القرآن.
- 2-** هذه الآيات والأحاديث الواردة في الباب جاءت لإصلاح خلل في الواقع، وهذا الخلل هو: تضخيم جانب العناية بالحفظ على حساب فهم القرآن وتدبره والاستهداء به وغير ذلك من الأمور التي ستُذكر، فعند قراءتها يُنبغي أن ينظر في الواقع، ثم يكون الإصلاح بحسب ما جاء في هذه الآيات والأحاديث.

الآيات

الآية الأولى: قال الله تعالى {كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ}

الفوائد:

1- في هذه الآية يُبين الله تعالى أنه أنزل القرآن؛ لتكون وسيلة التعامل الصحيحة معه هي: «التدبر»، ففي الآية بيان لمركزية مقصد التدبر، وأن كتاب الله أنزل لأجل ذلك.

2- من المقاصد التي أنزل الله القرآن لأجلها: «حصول التذكُّر به»، أي: يحصل الاتعاظ، وفي الآية بيان الطريق للوصول إلى هذا المقصد، وهو: «التدبر».

الآية الثانية والثالثة: قال الله تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}، وقال سبحانه: {وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}

الفوائد:

- 1-** في هاتين الآيتين دلالة على أن من أعظم ما تحققه سور القرآن: «زيادة الإيمان».
- 2-** المؤمنون حقًا يُحسنون تلقي القرآن والتعامل معه على مقياس الوحي، ومن الأمور التي تدخل تحت هذا المقياس: «زيادة الإيمان بالقرآن» فإذا كان الإنسان بقراءته للقرآن يزداد إيمانًا فإن هذا يدل على أنه يتلقى القرآن تلقيًا صحيحًا كما أراد الله تعالى.
- 3-** إذا كان تلقي القرآن عند الإنسان في حالته الغالبة لا يؤدي إلى زيادة الإيمان؛ فإن هذا يدل على وجود نقص وإشكال في طبيعة التلقي.

الآية الرابعة: قال الله تعالى {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ}

الفوائد:

- 1-** في هذه الآية دلالة على أن تلقي القرآن بطريقة تقود إلى «التذكر» هو تلقي بطريقة توافق مقاصد القرآن التي نزل لأجلها.

الآية الخامسة: قال الله تعالى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّتَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}

الفوائد:

1- في الآية ذكر صورة من صور التفاعل الإيماني مع الآيات، وهي: «تقشعر الجلود»، وهي نتيجة لزيادة الإيمان، وهذا يدل أن الإنسان إذا قرأ القرآن وأحدث القرآن فيه خشوعًا؛ فإن هذا يعني أن هذا الإنسان يتلقى القرآن تلقياً يزداد إيماناً به.

الآية السادسة: قال الله تعالى {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}

الفوائد:

1- في الآية دلالة على أن «خشوع القلب» مما ينبغي أن يتحقق من قراءة القرآن، وهذا راجع إلى زيادة الإيمان، فإن من أهم صور زيادة الإيمان: الخشوع.

الآية السابعة: قال الله تعالى {إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَبِيدِينَ}

الفوائد:

1- في الآية تبين لمقصد من مقاصد القرآن، وهو: «حصول الكفاية والاستغناء»، ففي القرآن ما يكفي الإنسان لبيان المنهج الصحيح الذي يريد الله منه أن يسير عليه، وهذا لا يعني أن سنة النبي ﷺ ليست كذلك، وإنما يعني أن القرآن هو الأصل، وهذا المقصد لا يصل إليه الإنسان إلا إذا كان يتعامل مع القرآن تعامل مَن يستحضر ربانيته، وعظمته، وشموليته، واحتياج الإنسان للعلم من خلاله.

الآية الثامنة والتاسعة: قال الله تعالى {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}، وقال: {فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} ﴿١٠﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ}

الفوائد:

1- في هاتين الآيتين ذكر لمقصد من مقاصد تلقي القرآن، وهو: «الاهتداء به».

2- موقف الجن من القرآن في الآية الثانية كان عجيبا،

فهم أدركوا الغاية التي ينبغي أن تُحقق من خلال القرآن.

3- إدراك أن القرآن جاء للهداية يجعل المتلقي للقرآن يتلقاه بعين المستهدي، والذي لا يُدرك هذا المعنى قد يقرأ القرآن لمقاصد أخرى غير مقصد طلب الهداية منه، وطلب الهداية من القرآن من المقاصد التي أنزل الله تعالى القرآن لأجلها.

الآية العاشرة: قال الله تعالى {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ}

الفوائد:

1- في الآية ذكر لوسيلة وغاية، أما الغاية فهي: «الربانية»، وأما الوسيلة فهي: «تعلّم القرآن وتعليمه»، الوصول للربانية وهي الغاية يكون من خلال وسيلة تعلّم القرآن وتعليمه.

الآية الحادية عشرة: قال الله تعالى {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا}

الفوائد:

1- في الآية دلالة على أن من مقاصد القرآن:

«مداخلة»

لباطل من خلاله»، وهذا شيء ينبغي أن يستحضره المصلح الذي يعيش في مختلف الأزمان؛ لأن الخطاب الوارد في الآية ليس خاصًا بالنبي ﷺ، وإنما هو خطاب له ولورثته من بعده بأن يُجاهدوا الكفار بالقرآن، ففي القرآن مضامين لبناء الحق وتوضيحه، ومضامين لهدم الباطل وتفكيكه، وفقه هاتين الدائرتين فقه عظيم، فإن الإنسان المصلح عندما ينظر إلى الواقع من حيث ما ينبغي أن يعمل ينظر إليه من هاتين العينين:

• «عين لدائرة الحق وبنائه وحملته»، فالمصلح عنده - دائمًا - أساس في مشاريعه متوجّه إلى هذه القضية، بغض النظر عمّا هو موجود من الباطل والمشكلات.

• «وعين أخرى لدائرة الفساد والمشكلات، وحملة الباطل، ومضامينه»، والنظر بهاتين العينين يجعل المصلح يسير بطريقة متزنة، فجولة للحق في تقويته وبنائه ومضامينه ونشر علومه، وجولة على الباطل في تفتيته وتفكيكه ومحاربته ومدافعته، ومن القرآن تُستمد أهم مضامين

المدافعة.

الآية الثانية عشرة: قال الله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَنِشَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}

الفوائد:

1- في هذه الآية ذكر لمقصد آخر من مقاصد

وهو أن يكون «شفاء»، ووصف القرآن بأنه شفاء يُبين أن من الصفات الأساسية في القرآن كونه شفاء.

2- الأصل في الشفاء المذكور بالآية أنه الشفاء المعنوي لما يكون في الصدور من التساؤلات والشكوك، والافتقار الفطري، ونحو ذلك مما يقع في النفوس.

3- من أعظم ما يُعين على تحقيق مقصد الشفاء: أن يُقرأ القرآن بعيني المستهدي، فالهداية كلمة عامة تدرج تحتها صور، ومن هذه الصور: الهداية بشفاء التساؤلات والشكوك.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «لَقَدْ عَشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا، وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَآمَرَهَا وَزَجَرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا، كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمْ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رَجُلًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَجْرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، فَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقْلِ» أخرجه الحاكم (101)، والبيهقي (4924) واللفظ له.

الفوائد:

1- تأتي الأحاديث لتكمل وتعزز وتبين ما سبق ذكره في الآيات، واستقراء ما ورد في الموضوعات الشرعية من الكتاب والسنة هو التعامل الأكمل مع الموضوعات، فهذه منهجية مهمة في فقه الدين كله.

2- في هذا الحديث يذكر عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - صورتي من صور تلقي القرآن: صورة كانت في زمن النبي ﷺ، وصورة كانت بعد زمنه، وكان عبد الله بن عمر ينتقد الصورة الثانية، ويبين أن الناس استسهلوا التعامل مع القرآن بينما لم يكن كذلك في زمن النبي ﷺ، فإن القرآن له شأنه الذي ينبغي أن يُستعدَّ له به

بأن يُدخل عليه بقلوب تعظّمه وتقدره قد بُني فيها الإيمان، ومن هنا نخرج بنتيجة عملية، وهي: أن الدروس المتعلقة بالآخرة، والتعرف على الله، وأعمال القلوب من أوائل ما ينبغي أن يتلقاه الطلاب في حلقات التحفيظ.

3- من الآيات التي سبق ذكرها ويرتبط بها هذا الأثر: قول الله تعالى: (وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ)، فـ«الريانية» من المقاصد التي تتحقق من خلال القرآن، ومن وسائلها: دراسة الكتاب وتعليمه.

الحديث الثاني: عن جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانُ حَزَاوَرَةَ فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا» أخرجه ابن ماجه (61).

الفوائد:

1- هذا الأثر يؤكد ما سبق ذكره من قول الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)، وقوله سبحانه: (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)، فالنبي ﷺ كان يُشرف على قضية تلقي القرآن المحققة لزيادة الإيمان.

الحديث الثالث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ
مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ
بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ
الرَّحْمَةُ، وَحَقَّتْ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ
فِيمَنْ عِنْدَهُ» أخرجه مسلم (2699)

الفوائد:

1- في هذا الحديث تأكيد على قضية مدارس القرآن وتلاوته، وهذا من المهم جدًا أن يُفقه ويوعى، ولا ينبغي الوقوف عند شق التلاوة، وإنما يُشفع بشق التدارس.

الحديث الرابع: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُمْ: الْقُرَّاءُ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَخْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ» أخرجه مسلم: (677).

الفوائد:

1- في هذا الحديث يصف أنس بن مالك - رضي الله عنه - مجموعة من خيار أصحاب رسول الله ﷺ، ممن استحقوا لقبًا لانشغالهم بالقرآن، وقد وصل بهم هذا الانشغال لدرجة أن يكون عُنصرًا من عناصر الهوية لهؤلاء الأشخاص، وهذا كان موجودًا في زمن النبي ﷺ وبعده، والذين يذكرهم أنس - رضي الله عنه - في الحديث أعطاهم ارتباطهم الدائم بالقرآن لقب «القراء»، وإذا نظرنا في طبيعة تعاملهم مع القرآن سنجد عندهم أمرًا أساسيًا، وهو: التدارس والتعلم؛ لذلك فإن إحياء مجالس تدبر القرآن والاستهداء به وتعلّمه من أعظم ما يكون من التصحيح في تلقي القرآن.

الحديث الخامس والسادس: «عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: «حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقَرِّئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْآخَرِ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ» أخرجه أحمد (23482)، و«عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ مِمَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَغْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ» أخرجه الطبري في تفسيره (74/1)

الفوائد:

1- هذان الحديثان واضحان ومركزيان في كيفية تلقي القرآن على زمن النبي ﷺ، وما ذكر فيهما أنموذج بين ينبغي إعادة تفعليه وتحقيقه، والمعنى المركزي في النص: تعلّم العلم والعمل، وليس الوقوف على عدد الآيات.

الحديث السابع: عَنْ مَالِكٍ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ «مَكَثَ عَلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثَمَانِي سِنِينَ؛ يَتَعَلَّمُهَا» أخرجه مالك (546).

الفوائد:

1- هذا النص أخرجه الإمام مالك بعد ذكر الخوارج، وهذا الترتيب منه في الإخراج فيه فقه كبير شريف متقدم، فهو قد أخرج حديث الخوارج وفيه: «يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَلَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»، وفي هذا مقارنة بين حالتين في تلقي القرآن، فالخوارج وإن أكثروا من تلاوة القرآن إلّا أنهم لم يأخذوه على ما ينبغي أن يؤخذ، ولم يحققوا من خلاله ما ينبغي أن يُحقق، فالشأن كلّ الشأن ليس في كثرة التلاوة، وإنما في كيفية تلقي القرآن، ومعرفة الغايات التي ينبغي أن تصل إليها من خلاله.

الحديث الثامن: عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ يُعَدُّ فِيْنَا عَظِيمًا» أخرجه أحمد (12216).

الفوائد:

1- هذا التلقي لهاتين السورتين الذي يدلّ على عظمة مَنْ فعله لم يكن مجرد حفظ لهما، وإنما يدلّ على أنه تلقى مرتبط بمتعلقات أخرى بحيث يكون الأخذ لهما يتضمن أنّ من أخذهما فقد أخذ الأداء، والعلم، والعمل الذي فيهما، وعليه: فصار الأخذ لهاتين السورتين له معنى عظيم جدًا.